المشاركة في فعاليات الملتقى الدولي الموسوم:عبد الملك مرتاض أديبا وناقدا.المنظم من طرف كلية اللغة والأدب العربي والفنون وبالتعاون مع مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة باتنة1،يومي 08/07 ماي 2025.

عنوان المداخلة: تجليات التناص الديني في الكتابة الإبداعية المرتاضية-رواية مرايا متشظية أنموذجا-

Manifestations of religious intertextuality in Mortadh's creative writing - the novel Shattered Mirrors as a model-

إعداد الدكتورة: إيمان برقلاح

الرتبة: أستاذ محاضر أ

البريد الإلكتروني: imenberguellah2020@gmail.com

الجامعة الأصلية :جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،قسنطينة.

ملخص :

شهدت الساحة النقدية ظهور عديد المصطلحات التي شغلت اهتمام الباحثين و الدارسين، أبرزها مصطلح "التناص" الذي أحدث ثورة كبيرة في حقل المفاهيم النقدية، ولاشك أن الدارس له يجد اختلافا كبيرا من حيث طريقة التناول والتعامل معه ،لأنه جعل النص فضاء مفتوحا تتداخل وتتفاعل فيه كل النصوص، و منه راح الروائي الجزائري يطعم أعماله بالموروث الإنساني العربي والعالمي راميا ببصره وسمعه إلى كل ما يحقق علاقة التأثر والتأثير.

من هنا جاءت هذه الورقة البحثية لتميط اللثام عن تجليات التناص الديني في رواية "مرايا متشظية"لعبد الملك مرتاض،الذي احتفى بمختلف أشكاله،سواء كان من القرآن الكريم أو قصص الأنبياء أو الحديث النبوي الشريف، فجعل من لغته ظاهرة فنية متفردة منزاحة نحو التجديد و التجريب.

الكلمات المفتاحية :

التناص الديني،القرآن الكريم،قصص الأنبياء،الحديث النبوي،مرايا متشظية.

Abstract:

The critical arena has witnessed the emergence of many terms that have captured the attention of researchers and scholars, most notably the term "intertextuality," which has revolutionized the field of critical concepts. Undoubtedly, those studying it will find significant differences in the way they approach and engage with it, as it has transformed the text into an open space in which all texts overlap and interact. From there, the Algerian novelist has infused his works with Arab and global human heritage, casting his gaze and ear on everything that achieves a relationship of influence and impact.

Hence, this research paper aims to unveil the manifestations of religious intertextuality in Abdelmalek Mortadh's novel " Shattered Mirrors." Mortadh celebrated its various forms, whether from the Holy Quran, the stories of the prophets, or the Prophetic Hadith, transforming his language into a unique artistic phenomenon, shifting toward innovation and experimentation.

Keywords:

Religious intertextuality, the Holy Quran, stories of the prophets, the Prophetic Hadith, fragmented mirrors.

مقدمة :

يكتسي مصطلح التناص أهمية بالغة في الدراسات النقدية ،نظرا لمساهمته الفعالة في إنتاج جمالية النصوص الأدبية ،فيجعلها متميزة عن غيرها من النصوص العادية ،البعيدة عن الفنية و المتعة.و قد مثّل عبد الملك مرتاض لهذه الظاهرة بشكل جلي في رواياته، خاصة الديني منها ،إذ يعدّ مرتاض من الروائيين الجزائريين الذين تشربوا من نبع ألفاظ الدين الإسلامي الحنيف ، و استمدوا منه الكثير من الموضوعات والرموز .

و تعتبر رواية "مرايا متشظية" من أعمال مرتاض الإبداعية التي نهلت مادتها من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف، حيث أصبحا مصدراً مهماً في بناء الرواية،مما أضفى عليها دلالات ومعان جديدة تبيّن مدى ثقافة الكاتب ووعيه الديني. و قبل استجلاء مكامن التناص الديني في الرواية ،سنعرج أولا على تبيان مفهوم التناص عند الغرب و العرب .

1- مفهوم التناص:

يعد مفهوم التناص من المفاهيم الواسعة الدلالة والتعبير ولا يمكن حصره بمعنى محدد لسعة المجالات التي يتضمنها فهو "مفهوم يدل على وجود نص أصلي في مجال الأدب، أو النقد أو العلم على علاقة بنصوص أخرى، وأن هذه النصوص قد مارست تأثيرا مباشرًا أو غير مباشر على النص الأصلي"[1].

و هو مصطلح جديد عرف في منتصف الستينات على يد الباحثة جوليا كريستيفا " Julria Krusteva" وترى رائدة هذا المصطلح أن "التناص نقل لتعبيرات سابقة أو متزامنة وهو "اقتطاع أو تحويل عينة تركيبية تجمعية لتنظيم نصي معطي بالتعبير المتضمن أو الذي يحيل إليه"[2].

وفي تعريف آخر تقول: "بأنه التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى وكل نص هو امتصاص لنص آخر أو تحويل عنه"[3].

إضافة إلى ذلك يرى "رولان بارت":"أن كل نص هو تناص، وإن النصوص الأخرى تراءى فيه مستويات متفاوتة وبأشكال ليست عصية على الفهم، إذ فيها نتعرف على النصوص الثقافية السالفة والحالية فكل نص عنده ليس إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة"[4].

معنى هذا أن النص لا يمكن أن ينفصل عن ماضيه ومستقبله، فالمبدع ينتج نصه بالاعتماد على النصوص السابقة أو المعاصرة، فيقوم بصياغته بطريقة خاصة فلا يظهر ذلك، فالقارئ المثقف فقط هو من يكشفه ويدركه.

و يعتبر "جيرار جينيت" هو الآخر من النقاد الغربيين الذي اهتموا بنظرية التناص، وتعتبر كتاباته ودراساته من أعمق التأصيلات النظرية التي عرفتها النظرية الحديثة، كما أنه لم يتوقف عند حدود هذا المصطلح وإنما تجاوز إلى اختراع مصطلحات أخرى تقابله، فقد حاول من خلال كتاب "أطراس" 1982م، أنه لا يمكن الكتابة إلا على آثار نصوص قديمة، وهذه العملية شبيهة عنده بعملية من يكتب على طرس، ويوضح معنى كلمة طرس فيقول: "إنه ورق صحيفة من جلد يمحى ويكتب عليه نص آخر على آثار كتابة قديمة، لا يستطيع النص الجديد إخفاءها بصفة كاملة، بل تظل قابلة لتبيينها وقراءتها تحته، فهو يقصد بهذا العنوان المستعار من حقل

---

[1] عبد الرحمان عبد الحميد علي، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر 2005م.ص356

[2] ماجد ياسين الجافرة، التناص والمتلقي، دراسات في الشعر العباسي، مكتبة النكدي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2015م-1436ه، ص 110.

[3] جمال علي شهاب، "آليات التناص في شعر سعد الدين شاهين"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة آل البيت، دبي، 2016، ص 10.

[4] محمد عزام، النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، منشورات اتحاد العرب الكتاب العربي، دمشق، سوريا، دط، 2003م، ص 33.

المعلوماتية مجموع نصوص تظهر دفعة واحدة على الشاشة، ولكنها صادرة عن فضاءات مختلفة للذاكرة"[5].

حيث اهتم جيرار جينيت كثيرا بما يسمى "بالمتعاليات النصية" "Transtextnnalite" ومعناه: "هو كل ما يجعل نصا يتعلق مع نصوص أخرى بشكل مباشر أو ضمني، وعن طريق التعالي النصي يتجاوز معمار النص أو بالبحث في هندسته"[6].

كما يشير إلى أن التناص هو الذي يجعل النص دائما في حالة التباس وغياب بقوله: "النص عبارة عن نسيج من الملصقات والتطعيمات، أنه لعبة منفتحة ومنغقلة في الوقت ذاته ولهذا فمن المحال أن نكتشف النسب الوحيدة والأولى للنص، وذلك ليس للنص أبا واحدًا بل مجموعة من الأصول و الأنساب"[7].

ونستنتج من هذا القول أن النص هو مزيج من النصوص السابقة أو المعاصرة له وبالتالي يصعب علينا التمييز بين النص الأصلي والنصوص الداخلية أو المتعالقة معه.

إذا جئنا إلى نقدنا العربي المعاصر فقد ظهر مصطلح التناص بعدة صياغات منها:

"1-التناص أو التناصية. 2-النصوصية. 3-تداخل النصوص أو النصوص المتداخلة. 4-النص الغائب. 5-النصوص المهاجرة. 6-تظافر النصوص.7-النصوص الحالة والمزاحة. 8-تفاعل النصوص. 9-التداخل النصي. 10-التعدي النصي.11-عبر النصية.12-البينصوصية. 13-التنصيص"[8].

ومن بين الباحثين العرب الذين درسوا ظاهرة التناص نذكر:

محمد مفتاح الذي وقف على تحديدات كريستيفا و أرفي و ريفاتير.....، ورأى بأنها لم تصنع تعريفا جامعا مانعا للتناص، لذلك نجده يلجأ إلى استخلاص مقومات التناص من مختلف التعاريف المذكورة وهي: "فسيفساء من نصوص أخرى، أدمجت فيه بتقنيات مختلفة"[(9)].

ويخلص محمد مفتاح إلى أن التناص ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح، محول لها بتمطيطها وتكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالتها أو بهدف تعضيدها.

---

[5] المختار حسني ، من التناص إلى الأطراس، علامات في النقد الادبي، النادي الادبي الثقافي بجدة السعودية، ج25، المجلد السابع، سبتمبر 1997م، ص 178.

[6] سعيد سلام، التناص التراثي الرواية الجزائرية أنموذجا عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2009م، ص 47.

[7] وليد قصاب: منهج النقد الأدبي الحديث (رؤية إسلامية)، دار الفكر، دمشق، سوريا، دط. دت، ص 225.

[8] أحمد ناهم: التناص في شعر الرواد،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،العراق ،ط1، 2004م، ص 16.

[9] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص 121.

ولم يكتف سعيد يقطين بآراء من سبقه في دراسة ظاهرة التناص ،والإشارة إلى جهودهم في إنتاج المصطلح وتحديد المفاهيم، بل سعى إلى إقامة تصور خاص به ،وإن كان في تصوره هذا لا يستغني عن جهود سابقيه، وأهم ما قام به هو محاولة اقتراح مصطلح جديد ينهض بديلا عن مصطلح التناص، هذا المصطلح الجديد يتمثل في (التفاعل النصي).

إن سعيد يقطين يكثر استعمال التفاعل النصي على استعمال التناص، وهذا لأنه أعم من التناص فيما أن النص ينتج ضمن بنية نصية سابقة، فهو يتعالق بها ويتفاعل معها تحويلا أو تضمينا أو خرقا.

و يعد عبد الملك مرتاض من النقاد الذين اهتموا بإظهار مفهوم التناص ،وقد عرفه بأنه: "الوقوع في حال تجعل المبدع يقتبس أو يضمن ألفاظا وأفكارًا كما التهمها في وقت سابق ما دون وعي، صراح بهذا الأخذ الواقع عليه من مجاهل ذاكرته، وخفايا وعيه، فمفهوم التناص يعني ضرورة الإقرار بنسبية الإبداع.

فكل ما يكتبه كاتب، أو يشعره شاعر، ليس إلا ثمرة من ثمرات القراءات أو السماعات السابقة للمبدع، فهو محكوم عليه باجترار ثقافة أدبية تعامل معها بالقراءة أو الاستماع من قبل فهي متسلطة عليه ولو لم يرد ذلك، وهي تقع في كتاباته ولو لم يشعر بذلك"[10].

فهو من خلال هذا القول يبين أن مختلف الأفكار التي يستعملها المبدع في إبداعه، ما هي إلا مجرد قراءات قد سبق له وأن مرّ بها لأن تفكيرنا هو نتاج خبرات سابقة.

إذن فعبد الملك مرتاض كانت له نظرته الخاصة لمفهوم التناص الذي شاع وذاع بين أقطاب العالم العربي والغربي ،كما أنه حرص على عدم الانبهار بالدراسات الغربية الحديثة وهذا لأنها في نظره تكرار وإعادة لنظريات عربية قديمة.

مما سبق نخلص إلى أن مصطلح التناص من المفاهيم النقدية الأساسية التي شغلت النقاد و الدارسين، والتي لها حضورها القوي في جل الدراسات التي تتناول النص الأدبي شعرا كان أم نثرا، وذلك لأهميتها الكبيرة في تكوين النص الذي ما هو إلا اقتباسات وتراكمات المجموعة من نصوص سابقة وإعادة إحيائها وبثها في نصوص حاضرة ومعاصرة.

2-مفهوم التناص الديني:

[10] عبد الملك بومنجل: تجربة نقد الشعر عند عبد الملك مرتاض، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2015م، ص 102.

يقصد بالتناص الديني " تداخل نصوص دينية مختارة –عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الخطب أو الأخبار الدينية ...- مع النص الأصلي للرواية بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الروائي و تؤدي غرضا فكريا أو فنيا أو كليهما معا"[11] فالروائي يضمّن نصه الروائي آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو قصص الأنبياء حتى يضفي عليه جانبا من الجمالية التي تأسر القارئ و تؤثر في نفسيته.

و" لاشك أن عبد الملك مرتاض يعي أن الرواية هي تراث إنساني مشترك ، أو هي زبدة الفكر الإنساني الذي لا يمكن لأحد أن يدعي أبوته ، إلا أنه يعي أن الهوية أمر خطير يجب أن يعيه المبدع . وأولى عناصر الهوية اللغة ، و لا تعني اللغة هنا مفردات و قواعد ،و لكن تعني حمولتها الدلالية و ما تلونت به عبر المراحل التاريخية المختلفة ،و لذا توكأ على النصوص الدينية لأنها تمت للشرف بصلة . لأنه ليس هناك أشرف ممن كان كلام الله و رسوله مستحضرا دائما معه على لسانه في أي زمان و أي مكان ، يستلهم منه، ليس ممن ينثرون الألفاظ نثرا لا يرجعون فيها إلى أصل ثابت ، و لا إلى علم صحيح "[12]. و فيما يلي سنبرز أهم التناصات الدينية التي طعّم بها عبد الملك مرتاض روايته "مرايا متشظية" .

3-تجليات التناص الديني في رواية "مرايا متشظية" لعبد الملك مرتاض:

زخرت رواية "مرايا متشظية "لعبد الملك مرتاض بالعديد من التناصات الدينية ،فمنها ما كان مع القرآن الكريم أو مع قصص الأنبياء ،و حتى مع الحديث النبوي الشريف،و هذا و إن دلّ على شيء، فإنما يدل على ثقافة الروائي الدينية ،و إلمامه بكتاب الله و سنة نبيّه محمد صلى الله عليه و سلم ،و هم ما زاد من القيمة الجمالية للرواية.

أ-التناص مع القرآن الكريم:

يعدّ التناص مع القرآن الكريم، الأكثر شيوعا في الرواية، حيث عمد الروائيون إلى القرآن الكريم لتوصيل دلالاتهم للقارئ وتكثيفها من خلال انتقائهم للآيات التي تتناسب وطبيعة الرواية المتوافقة والجو النفسي للروائي.

---

[11] أحمد الزعبي : التناص نظريا و تطبيقيا ، مؤسسة عمون للنشر و التوزيع، الأردن ،(د ط)، 2000م.، ص37.

[12] سي أحمد محمود :سيميائية اللغة في أعمال عبد الملك مرتاض الروائية (التناص و العنونة) ،رسالة دكتوراه العلوم ، جامعة السانيا وهران، 2013/2012م، ص ص 68 ، 69.

واللجوء إلى القرآن الكريم يفجر لدى الكاتب طاقات دلالية وإبداعية جديدة، الأمر الذي يعزز لديهم بناء الرؤى الروائية، فالتفاعل مع هذه الكتاب المقدس باقتباس نصوصه يمنح الكاتب بناء نصه الجديد، وهذا النوع من التناص ليس مجرد اقتباس للنص القرآني أو لتزين الرواية به، فهدف الكاتب هنا هو استيعاب النص وتطويعه[13].

وقد تجلى التناص مع القرآن الكريم في رواية "مرايا متشظية "لعبد الملك مرتاض بصورة متميزة، فالقرآن مقوّم أساسي من مقومات ثقافة مرتاض ،وهو من أهم الوسائل المنتجة للدلالات فهو معين لا ينضب بما يحتويه من قصص وعبر وأحداث.و كان ذلك بصيغة صريحة مثل ما جاء على لسان عالية بنت منصور و هي تتلو قوله تعالى : ﴿ و لا تلبسوا الحق بالباطل و تكتموا الحق و أنتم تعلمون﴾[14].و ذلك دعوة منها للدفاع عن الحق و دحض الظلم الذي استفحل في الروابي فكان لزاما على أهلها الثورة و المقاومة.

أما الصيغة الثانية من التناص مع القرآن الكريم ،فكانت باستعمال الكاتب للآيات القرآنية بأسلوبه الخاص مع الحفاظ على المعني الأصلي مما يسهل الكشف عنها للمتلقي.

و من أمثلة ذلك ما استخدمه مرتاض عند حديثه عن عالية بنت منصور و جمالها الخلاب الذي لا يذبل عبر مرّ العصور، مما يصنفها –حسب مرتاض- من نساء الجنة ،وهذا ما يؤكده قول الراوي:" و إنّك ممن لم يطمثهنّ إنس و لا جان" [15].و في ذلك تناص مع قوله تعالى في سورة الرحمن حين أورد صفات نساء الجنة : ﴿ فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم و لا جان ﴾[16]. و بذلك تكون عالية بنت منصور شبيهة بحوريات الجنة في عفتها و طهارتها .

كما نجده في بعض المواقف يوظف التناص صراحة ومثاله ما جاء على لسان شيخ الحلقة الثالثة، وهو يفتتح "تلاوته بقوله تعالى :وَلَا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ "[17] و هي مأخوذة حرفيا من قوله تعالى :﴿وَلَا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [18] و قد استحضر مرتاض هذا التناص كشاهد مقتبس دلت عليه علامتا التنصيص في الرواية،

---

[13] ينظر: ظاهر محمد الزواهرة: التناص في الشعر العربي المعاصر،التناص الديني نموذجا،دار الحامد للنشر و التوزيع عمان ،الأردن ،ط1 ،2013م، ص 83.

[14] سورة البقرة :الآية 42.

[15] عبد الملك مرتاض:مرايا متشظية،الأعمال السردية الكاملة، ثنائية الجحيم، منشورات مختبر السرد العربي، جامعةمنتوري، قسنطينة، 2012، المجلد 2، ،ص 60.

[16] سورة الرحمن: الآية 56.

[17] الرواية ،ص 53.

[18] سورة البقرة ،الآية:42.

لبين الظلم والضلال اللذين كانا سائدين في تلك الروابي، فشيخ الحلقة يدعو شيخ بني بيضان بطريقة غير مباشرة للعدول عن الباطل و رفع راية الحق لأنها الأصح و الأسلم .

و من التناص مع القرآن الكريم قول الراوي عن الشيخ الأبر" :كان أعلم الناس، في الناس من الجنة والناس[19] " ،وقال في موضع آخر "فبات بمثابة الشيطان الرجيم الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس"[20] . و هنا اقتباس لقوله تعالى : ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ *الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[21] . فإن كان الشيطان الرجيم هو الذي يوسوس للناس ،و يبعدهم عن الطريق المستقيم ،فشيخ بني خضران كذلك لأنه يوسوس للناس و يسمم عقولهم حتى أصبح حكما عليهم .

و يستحضر مرتاض أيضا قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُول ﴾ [22]، حين دعا شيخ بني بيضان الجديد الله تعالى ليهلك أهل الروابي الأخرى كما أهلك أصحاب الفيل ،حيث قال:"اللهم أرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل حتى تجعلهم كالعصف المأكول"[23] .

إن القارئ لرواية "مرايا متشظية" يدرك بجلاء حضور التناص مع القرآن الكريم في جلّ مواقفها ،خاصة تلك المتعلقة بالأحكام الشرعية التي فيه، فالقتل حرام و ما كان سائدا في تلك الروابي من قتل جنوني دون حساب ظنا منهم أن مآلهم الجنة مناف تماما للصواب ،و هو ما دفع عالية بنت منصور للتساؤل :" كيف يمكن لقاتل أن يدخل الجنة؟ النّفس التي حرّم اللّه إلا بالحق" [24] و هو تناص مع قوله تعالى :﴿قُلْ تعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نرزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّه إِلَّا بِالحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[25] .

كما تحدث الراوي عن القصاص الذي يجب تطبيقه إرساءا للحق و إدحاضا للباطل "وستظل مشتعلة إلى أن تقوم السّاعة.والنفس بالنفس .والعين بالعين .والأذن بالأذن والشيخ

---

[19] الرواية،ص 106.
[20] الرواية، ص 159.
[21] سورة الناس ،الآيات : 4-7
[22] سورة الفيل ،الآيات :3- 5
[23] الرواية،ص 113.
[24] الرواية،ص 79.
[25] سورة الأنعام ،الآية 151.

بالشيخ" [26]، و هو ما يتناص مع قوله تعالى :﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بعْدَ ذَٰلِكَ فلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[27] .

مما سبق نتبيّن أن مرتاض قد وظف القرآن الكريم بلفظه و معانيه ،و جعلهما جزءا لا يتجزأ من روايته "مرايا متشظية"، حتى أن القارئ لها يكاد يظنها من الرواية لو كان غير عارف بآيات القرآن الكريم ،و هو ما يستلزم توفر قارئ متميز فطن .

ب التناص مع قصص الأنبياء :

زخرت رواية "مرايا متشظية " بعدد كبير التناصات مع قصص الأنبياء المذكورة في القرآن الكريم ،و التي كانت خادمة لكل السياقات التي وظفت فيها ، وهو ما يدل على الثقافة الدينية الموسوعية التي يتسم بها الروائي عبد الملك مرتاض ،و من أبرز القصص التي حفلت بها الرواية نذكر:

ب-1-قصة يوسف عليه السلام :

شغلت قصة يوسف عليه السلام حيزا كبيرا من رواية " مرايا متشظية"، حيث ورد التناص معها في عدة مواضع مع اختلاف في معانيها ودلالات سياقاتها ،و من ذلك نذكر حديث الشيخ في الحلقة وهو يستفهم عن أصل أهل الروابي فيقول: "هل أنت ذلك الشيخ الوقور؟ أم أنت أبو زمان في الوجود؟ أم أنت الفتى الوسيم الذي تعشقه العذارى وهو عنهن راغب؟ "[28] . إن وسامة شيوخ الروابي جعلت من هذا الشيخ يشبّههم بوسامة النبي يوسف عليه السلام ،و إن لم يبح باسمه صراحة إلا أن فهم المعنى يحيل إليه مباشرة خاصة أن كل النساء تعشقه و تتمنى قربه ، لكنه امتنع عنهن.

و من هؤلاء النسوة امرأة العزيز التي أحبته حبا جمّا،قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[29]. و قد استحضر مرتاض معنى هذه القصة حين سأل الشيخ غالية بنت منصور عن الشيخ الوضيئ الذي أحبته حبا كبيرا يشبه إلى حد بعيد حبّ زليخة امرأة العزيز ليوسف، يقول:" لا قلت لي من هو هذا الشيخ الذي أغواك وأغراك ؟ و شغفك حبّا "[30].

---

[26] الرواية،ص 100.
[27] سورة البقرة، الآية 178.
[28] الرواية ،ص 14.
[29] سورة يوسف الآية 30.
[30] الرواية ، ص 64.

و في موضع آخر من الرواية نجد تناصا آخر لقصة النبي يوسف عليه السلام و زليخة مع قصة نساء بني زرقان اللواتي تبرجن لإغراء الغلمان ،فزليخة ،لم تستطع تمالك نفسها أمامه حتى أنها" ذات يوم لبست أحسن ثيابها، وتزينت ودخلت على يوسف، وغلقت الباب خلفها، واقتربت منه، وأرادت أن تظهر له حبها" [31] ، قال تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتْ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[32].
أما نساء بني زرقان "اللواتي كن أغرين ذلك النبي الكريم فهممن به، وهمّ هو أيضا بهن لولا أن رأى برهان ربه "تمكنّ من إيقاع الغلمان في شباكهن.
و لأن يوسف عليه السلام لم يرضخ لمطالب زليخة أمرت بسجنه ،فكان أحب إليه من ارتكاب الفاحشة و إغضاب الله عز وجل،قال الله تعالى :" ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [33]، والتناص مع هذه الحادثة كان حين استحب شيخ بني بيضان السجن بدلا من الحرية، لأنه لا يريد مفارقة عالية بنت منصور، قال: "وإن شئت سجنتني في قصرك، سجنتني. السجن في قصرك أحب إليّ من كل نعيم في الربوة البيضاء"[34].
و إذا كان الجامع لهاذين السياقين حب دخول السجن ، فإن أسباب ذلك تختلف ففي الأول كانت هروبا فتنة و كيد المرأة (امرأة العزيز) أما الثاني فكانت قربا من عالية بنت منصور ووصلا لها .

ومن اقتباسات مرتاض لقصة سيدنا يوسف عليه السلام ما كان مع إخوته ،يقول: "لولا أن إخوتك كادوا لك كيدا وحسدوك هذا الشرف واستكبروه عليك، يوشكون أن يغتالوك في أول فرصة تتيح لهم دون رحمة" [35].

فهو يصف في هذا المقطع كيف حاول كل شيوخ الروابي أن يكيدوا لأخيهم شيخ بني بيضان ليقتلوه، وفي هذا تناص مع كيد إخوة يوسف له، حيث ظلوا يرجون أباهم أن يدع يوسف يخرج معهم ليلعب، قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ*أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[36].

---

[31] الرواية ،ص 12.
[32] سورة يوسف ،الآية 23.
[33] سورة يوسف، الآية 33.
[34] الرواية ،ص 58.
[35]الرواية، ص 55.
[36] سورة يوسف ،الآيتان :11 ،12.

وفي موضع آخر من الرواية استحضار للقصة نفسها و لكن مع شيخ بني سودان الأكبر حيث تداولت الروايات "أنّ بعض أهله هم الذين كانوا ألقوه في غياب الجب" [37]، كما ألقى إخوة يوسف أخاهم في الجب حتى لا يجده أحد.

إن استحضار عبد الملك مرتاض لقصة سيدنا يوسف عليه السلام، في سياقات متنوعة دليل على اشتمالها على أهمية بالغة ، خاصة و أن فيها من الحكم و المواعظ ما يرتقي بالنفس الإنسانية .

ب-2-قصة نوح عليه السلام:

قام مرتاض في روايته "مرايا متشظية "باقتباس قصة سيدنا نوح عليه السلام و الطوفان الذي وعد الله به قومه المكذبين ،فأتى على كل شيء،و لم يترك لا كبيرا و لا صغيرا ،لا إنسانا و لا حيوانا إلا و قضى عليه ،جزاء لهم على أفعالهم و أقوالهم،قال عزّ وجل: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[38].

و في الرواية نجد أن الطوفان قد ذكر في مواضع عديدة ،منها أن شيخ حلقة الروابي قد وعد بحدوث الطوفان قائلا:" ليحل الطوفان الثاني بالأرض فيجر فيها بما فيها، ومن فيها "[39] .

و اللافت للانتباه أن الطوفان التي اكتنفته الرواية لم يكن طوفان ماء فقط ،بل كان في أكثر من موضع ذكر طوفان دماء حيث شاع في الروابي السبع القتل والهمجية والظلم حتى أصبح الدم هو ما يميز حياتهم، هذا الدم الذي تكاثر حتى أصبح طوفانا جرفهم، وأغر روابيهم بما فيها.

ب-3-قصة سليمان عليه السلام:

ورد في رواية "مرايا متشظية" تناص ديني مع قصة سليمان عليه السلام من خلال ذكر النعم التي خصه الله تعالى بها . و منها أنّ " الجن والإنس والطير كانت تسير معه في جيشه، فالجن والإنس جنود سيارة والطير تظله بأجنحتها من حرارة الشمس وغيره، حيث تعمل له كمخابرات حربية تجلي له الأخبار."[40]و مثلما حشر الإنس و الجن و الطير و سائر المخلوقات للنبي سليمان ، نجد في الرواية مقاما مشابها لذلك حين يذكر الراوي عالية بنت منصور التي: "كانت

---

[37] الرواية، ص 89.
[38] سورة هود ،الآيتان : 36 ،37.
[39] الرواية ،ص 58.
[40] منصور عبد الحكيم :ملوك الدنيا الأربعة ،سليمان عليه السلام النبي الملك ،دار الكتاب العربي ،دمشق ،سوريا،2017 ص52

ربما غنت بصوتها فيحشر إليها كل الحيوانات والحشرات .فتنة بصوتها البديع"[41] ، فالصوت المميز لهذه المرأة العجيبة جعل الحيوانات تلتف حولها و تفتتن بصوتها .

و من النعم التي حبا الله بها سيدنا سليمان عليه السلام و التي تقاطعت مع ما ورد في متن الرواية نذكر تعلمه لمنطق الطير و فهمه لكل اللغات ،و هو ما اجتمع في وصف شيخ بني خضران الذي: " تعلم ألفا وسبعا وسبعين لغة... حتى إن بعض الروايات تذهب إلى أنه تعلم منطق الطير فلم يعجزه فهمه، ولغة القطط، ولغة القردة ولغة الفيلة ولغة النحل، ولغة الزنابير ولغة الدناصير، ولغة الخنايز...كان يخاطب كلا بلغته فبفهم عنه"[42].

و في موضع آخر وصف الراوي قصر عالية بنت منصور قائلا:"و"وزرنها في قصرها المبني من قوارير النور[43] " ،و أيضا: "حيث شاهد به الآن هذا القصر الممرد من البلور العجيب" [44] هو ما يتناص مع قصة سيدنا سليمان و ملكة سبأ،حيث " أمر سليمان ببناء صرح من زجاج وعمل في ممره ماء وجعل عليه سقفا من زجاج، وجعل فيه من السمك وغيرها من دواب الماء وأمرت (ملكة سبأ) بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه " [45]وكلا الوصفان منطبق على الآخر فسياق الرواية حمل الوصف نفسه الذي حمله صرح ملكة سبأ .

و من التناصات مع قصة سيدنا سليمان أيضا ،قول الراوي:" فيجدنه على أجنحتهم العاتية ،فيجدونه قبل ارتداد الطرف"[46]، وفي ذلك إشارة إلى طلب سليمان عليه السلام من جمعه أن يأتوه بسرعة فائقة بمملكة سبأ بعد أخبره الهدهد عنها، فتمّ له ذلك لقوله تعالى:" ﴿ قال الذي عنده علم الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾[47]. و قال المفسِّرون أن "الذي عنده علم الكتاب " هو رجلٌ عالمٌ صالحٌ عند سليمان، يُقالُ له: آصف بن برخيا، كان يعرفُ اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به؛ أجابَ، وإذا سُئِل به أعطى[48].

---

[41] الرواية،ص 12.
[42] الرواية ،ص 105.
[43] الرواية ، ص 21
[44] الرواية ،ص 23.
[45]منصور عبد الحكيم :ملوك الدنيا الأربعة ،سليمان عليه السلام النبي الملك ،ص 81.
[46] الرواية ،ص 88.
[47] سورة النمل ،الآية: 40.
[48] ينظر: منصور عبد الحكيم :ملوك الدنيا الأربعة ،سليمان عليه السلام النبي الملك ،ص 80.

إن الجامع للمقامين ،السرعة الفائقة في تحقيق الطلب ،فالسرعة التي أحضر بها آصف بن برخيا مملكة سبأ في السرعة التي يعيد بها جرجريس قصر العالية بنت منصور إلى جبل قاف. و كان للتناص مع هذه الحادثة دور في إعطاء الموصوف مكانة بارزة.

وقد ختم مرتاض تناصاته مع قصة النبي سليمان عليه السلام ،بحديثه عن قصة موته و كيف تمكن شيخ بني خضران الذي اعتبره من الجن من الفرار من سجن سليمان ،يقول الراوي:"وأنه كان فر من سجن سليمان بن داود ونجا من قبضته حين ظل سليمان ميتا و هو متكئ على منساته... فبدهائه وخبثه وذكائه استطاع أن يعرف أن سليمان كان متوفي"[49] . لكن اللافت للنظر أن هذه القصة لا تتوافق و القصة الحقيقية ،لأن الجن لا يعلمون الغيب ،كما كانوا يتوهمون، و يوهمون الناس ذلك.و الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[50].

ب -4-قصة موسى عليه السلام :

من التناص الديني أيضا استحضار مرتاض لقصة سيدنا موسى عليه السلام وعصاه التي تمثل أكبر معجزاته، حين تكلم عن الشيخ بيضان الذي ورث العصا و الحكمة عن الأنبياء ،يقول الراوي: "و أنت تتكئ على عصاك التي قيل لك إنها ربما ستصل إلى آخر الزمان إلى أحد الأنبياء المرسلين ، فيهشّ بها على غنمه،و يباري بها عصابات السحرة المكرة على ضفة الوادي..فيغلبهم و يدحض حججهم ويفضح افتراءهم ... فهل هذه العصا هي التي تزعم حكماؤكم أنها ستؤول إلى الرجل القوي الأمين"[51]،و في ذلك تناص مع قوله تعالى :"قال هي عصاي أتوكأ عليها و أهشّ بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى"[52].

إنّ عصا الشيخ بيضان و عصا موسى عليه السلام تشتركان في أن صاحبها ينال الحكمة و الرأي السديد ،و هو ما أكده الشيخ بيضان في قوله :"و منذ ذلك اليوم أصبحت حكيما ،يمكن أن تأتي أيّ شيء ممكن بإذن الله (...)و ما كان ذلك ليتحقق لولا الحكمة التي توجد في العصا المباركة .."[53].

أما الموقف الثاني فقد حاكى فيه عبد الملك مرتاض قصة موسى والرجلين اللذين اقتتلا، أحدهما إسرائيلي، والآخر قبطي وهذا الأخير قتله موسى عليه السلام، بعد ان استنجد به

---

[49] الرواية، ص 174.
[50] سورة سبأ،الآية :14.
[51] الرواية،ص 117 ،118.
[52] سورة طه ،الآية 18 .
[53] الرواية ،ص 118

الإسرائيلي ،و لماكان لبني إسرائيل من مكانة عالية عند موسى عليه السلام لبنى نداءه فطعن القبطي و مات .

و الموقف المشابه لهذه الحادثة في الرواية ،هو أن الشيخ بني بيضان لما كان عائدا من قصر عالية بنت منصور "إذ كان اثنين من الناس يتقاتلان... يتقاتلان قتالا شرسا... و أنهما يتقاتلان وإذا أنت تسمع أحد المتقاتلين الاثنين يصيح كالمستغيث... فلم تشعر إلا وأنت ترفع عصاك السحرية... فتضربه بها على قفاه فتطرحه أرضا" [54]، ووجه المخالفة بين السياقين أن الرجلين في قصة موسى عليه السلام من الإنس، أما في الرواية فهما من الجن .

ب- 5- قصة عيسى عليه السلام :

اقتبس عبد الملك مرتاض قصة عيسى عليه السلام ووظفها في رواية "مرايا متشظية" بسبب المعجزات التي منّ الله بها رسوله الكريم، وذلك بدءا من معجزة مولده من غير أب، يقول الراوي:" وإذا رجل تجده على صفة العين العطرية، لم تكن أرته من قبل قط، وهي لم ترى الرجال قط، وعرفته رجال لأنها رأته كائنا إنسانيا لا تختلف بنية جسده عن بنية المرأة إلا بعض الأعضاء التي هي فيه، وليست فيها وهو يحذ ببصره إليها... تعهدها في نفسها"[55]. ففي هذا المقطع سرد لقصة أم عالية بنت منصور ،التي لم يمسسها رجل من الإنس أو الجان ،و في ذلك تناص مع قصة مريم بنت عمران التي وهبها الله تعالى سيدنا عيسى عليه السلام من غير زوج،قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا *قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾[56].

'إن ولادة عيسى عليه السلام من غير أب،أتى مشابها لطريقة ولادة عالية ، مع وجود اختلاف يكمن في أن مريم عليها السلام جاءها ملك ولم يظهر على عورتها وهو كذلك. أما أم عالية فقد جاءها إنسان وظهر كلاهما بعورة الآخر .

ومن معجزات عيسى عليه السلام التي استحضرها مرتاض أيضا في روايته قدرته على رد البصر، يقول الراوي: "إن الذي اغتاله شخص مشوه الخلق، له سبعة رؤوس ونصف أذن

---

[54] الرواية ،ص 170- 171.
[55] الرواية، ص 142-143.
[56] سورة مريم ،الآيات : 16-21.

وبدون عينين، وقيل لكم: إنه ينتظر عيسى ابن مريم ليبرئه[57] " ،وقال في موضع أخر: "وعُلم الطب حتى كان يبرئ الأكمه"[58].

و لم يكتف مرتاض باقتباسه لهذه الأحداث و المعجزات فقط، بل ذكر أيضا قصة الحواريين الذين طلبوا من سيدنا عيسى عليه السلام أن ينزل عليهم مائدة ليأكلوا منها،قال عز وجل : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[59] ،و هو مايتناص مع قول الروائي على لسان المنادي: "اللهم أنزل علينا مائدة الكفيت التي آثرت بها بعض أنبيائك وأصفيائك حتى نقوى على المضاجعة و المباضعة "[60] .

و إذا كان الغرض من إنزال المائدة على الحواريين تحقيق المتعة الجسدية بإشباع البطن فإن الغرض من إنزال المائدة على أهل الروابي تحقيق المتعة الجنسية بإشباغ الرغبات و الأهواء. و الاستدلال بهذه القصة تبيان لجشع الإنسان و طمعه الذي لا ينتهي .

مما سبق حاولنا التطرق لأكبر عدد ممكن من المواقف التي استحضر فيها مرتاض قصص الأنبياء على اختلاف موضوعاتها، ولعلّ الأمر الأكثر شعرية في هذا التناص الديني هو قدرة الكاتب القوية في التعبير عن بعض الأفعال الصادرة عن الشخصيات، سواء توافقت أم اختلفت مع القرآن الكريم ، فكان يأخذ الدلَالة المناسبة للفعل وكل هذا بأسلوبه الخاص، لَا يقتدر على استخراجه إلَا الملم بالقرآن الكريم وتفاسيره.

ج- التناص مع الحديث النبوي الشريف:

إن القارئ لرواية "مرايا متشظية" ،يلفي عبد الملك مرتاض يجاري الحديث النبوي في متنها واستند عليها في الاستشهادات الداعمة لرفضه المطلق والمعارض لما يفعله النّاس في الروابي السبع وفي جبل قاف.

ومن المواقف السردية التي نجد فيها التناص مع الحديث النبوي قول مرتاض على لسان المنادي:" ويقول لكم شيخكم الأغرّ الأبرّ، حفظه الله... وطّنوا أنفسكم على أن تصلوا إليه، بأيّ وجه من الوجوه .قد وعدتم بذلك "[61] ،يتقاطع هذا المقطع مع قول النبي صلى الله عليه وسلم "لاَ تَكُونُوا

---

[57] الرواية ،ص 36.
[58] الرواية ،ص 112.
[59] سورة المائدة ، الآيات :112-114.
[60] الرواية ،ص 119.
[61] الرواية ،ص 26 .

إِمَّعَةً تَقُولُونَ :إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، ولَكِنْ .وطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وإِنْ أَساءُوا فَلَا تَظْلِمُوا" [62]، أراد السّارد من هذا التناص الاستشهاد عن رفضه لقضية التبعية التي كان أهل الروابي يخضعون لها بالرغم من أنها تضر أكثر مما تنفع، وهو هنا يتفق مع موضوع الحديث، فيما أراده من توظيفه.

و يستمر مرتاض في الاستعانة بالحديث النبوي الشريف في روايته ، و من ذلك ما ورد على لسان شيخ بني خضران في إحدى خطاباته التي تدعو للقتل والإجرام من أجل تحصيل الثواب والأجر الكبير، حتى ولو كان بالنيّة فقط يقول:" تقتلون إن شاء الله بالظنة .وتغتالون إن شاء الله بالشبهة .وتعاقبون إن شاء الله لمجرد إبداء النية .وإنّما الأعمال بالنيات .وإن لكل امرئ ما نوى"[63]. و هو تناص مع قول النبي صلى الله عليه وسلم : "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وإِنَّمَا لأمرئ مَا نَوى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللّه ورَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللّه ، ورَسُولِهِ، ومَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَو امْرَأَةٍ يَتَزَوجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"[64] .

إنّ النيّة التي وردت في الحديث الشريف تختلف اختلافا مطلقا عن النية التي وردت في خطبة شيخ بني خضران التي تساهم ي نشر الجريمة و الظلم ،والاستشهاد هنا دلَالة على التغير في المواقف وتناقضها،و هو ما جسده التعارض الواضح بين السياق الديني والسياق الروائي.

كما تحتوي الرواية على تناصّات مع الحديث الشريف في مواقف أخرى ولكن أحيانا تكون تلك التناصّات لفظية فقط تختلف عن الموضوع المتناص معه، ومنه قول الراوي " بل هم سواسية في الفقر والبطالة والكسل والكلام الكثي كأسنان المشط"[65] .

جاء الحديث في هذا المقطع السردي عن الربوة وكهف الظلمات في اعتقاد شيخ بني حمران، إذ كان العدل سائدا والمجتمع خال من الطبقية البشعة، الأمر الذي جعله مرتعا لجميع النّاس الذين لَا تحكمهم الطبقية، في هذا المقطع نجد التناص مع الحديث النبوي الشريف القائل" :النَّاسُ سَواسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، إِنَّمَا الْفَضْلُ بِالتَّقْوى"[66] ، التوظيف هنا أخذ منحى آخر قصد مرتاض به نقد توظيف النّاس لبعض الأحكام الشرعية بالطريقة التي تناسب منافعهم وليس كما وضعت.

---

[62] علي بن سلطان محمد، محمد القاري، مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، لبنان ، ط 1 2002م ،ج 8 ،ص 203.

[63] الرواية ،ص 81.

[64] يحي بن شرف النووي،الأربعون النووية و تتمتها،مكتبة الاقتصاد ،مكة،السعودية،ص04

[65] الرواية ،ص 173.

[66] محمد بن محمد بن محمود البابرتي، العناية شرح الهداية، دار الفكر،(د ط)،(د ت)، ج 3 ، ص. 295

خاتمة :

في الختام ، تمّ في هذه الورقة البحثية استعراض تجليات التناص في الكتابة الإبداعية المرتاضية من خلال رواية "مرايا متشظية" ،بهدف الكشف عن تجربة مرتاض السردية ،التي اكتست حلة دينية أثرت العمل على المستويين الدلالي والجمالي ،.و قد توصلنا إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

- تمكن عبد الملك مرتاض في روايته"مرايا متشظية" من أن ينشئ مشروعا روائيا متكاملا من خلال تخصيب مادته السردية بالتناص الديني بمختلف أشكاله .

- استطاع مرتاض أن يوظف التناص الديني بما ينسجم وأفكاره دون أن يؤثر ذلك على النص الأصلي بل يقويه ويحقق معه الرؤية الدلالية.

- نهلت رواية "مرايا متشظية" من القرآن الكريم لتشكيل بنيتها السردية . و كان ذلك إما بشكل صريح عن طريق الاقتباس أو بشكل ضمني من خلال بنايات نصيّة صغرى مضمّنة في المتن الروائي.

- يعد التناص مع قصص الأنبياء سمة بارزة من السمات التي اعتمد عليها مرتاض في روايته حيث جعله مطيّة لإيصال أفكاره تارة، والكتابة عن بعض ما لا يريد الإفصاح عنه تارة أخرى أو غير ذلك من الغايات التي يتقصّدها منه ومن وراء كتاباته وإبداعاته.

- امتص مرتاض عددا قليلا من الأحاديث النبوية الشريفة مقارنة مع ما استحضره من آيات و قصص قرآنية، نظرا لكثرة تعامله مع القرآن الكريم تلاوة و دراسة و تدبّرا منذ صغره .

قائمة المصادر و المراجع :

1- القرآن الكريم .

2- أحمد الزعبي : التناص نظريا و تطبيقيا ، مؤسسة عمون للنشر و التوزيع، الأردن ،(د ط)، 2000م.

3- أحمد ناهم: التناص في شعر الرواد،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،العراق ،ط1، 2004م.

4- جمال علي شهاب، "آليات التناص في شعر سعد الدين شاهين"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة آل البيت، دبي، 2016.

5- سعيد سلام، التناص التراثي الرواية الجزائرية أنموذجا عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2009م.

6- سي أحمد محمود :سيميائية اللغة في أعمال عبد الملك مرتاض الروائية (التناص و العنونة) أطروحة دكتوراه العلوم ، جامعة السانيا، وهران، الجزائر، 2013/2012م.

7- ظاهر محمد الزواهرة: التناص في الشعر العربي المعاصر،التناص الديني نموذجا،دار الحامد للنشر و التوزيع عمان ،الأردن ،ط1 ،2013م.
8- عبد الرحمان عبد الحميد علي، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، دار الكتاب الحديث القاهرة، مصر 2005م.
9- عبد الملك بومنجل: تجربة نقد الشعر عند عبد الملك مرتاض، دار قرطبة، الجزائر، ط1 2015م.
10- عبد الملك مرتاض:مرايا متشظية
11-علي بن سلطان محمد، محمد القاري، مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر بيروت، لبنان ، ط 1 ، 2002، ج8.
12-ماجد ياسين الجافرة، التناص والمتلقي، دراسات في الشعر العباسي، مكتبة النكدي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2015م.
13-محمد عزام، النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، منشورات اتحاد العرب الكتاب العربي، دمشق، سوريا، دط، 2003م.
14-محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
15-المختار حسني ، من التناص إلى الأطراس، علامات في النقد الادبي، النادي الادبي الثقافي بجدة السعودية، ج25، المجلد السابع، سبتمبر 1997م.
16-وليد قصاب: منهج النقد الأدبي الحديث (رؤية إسلامية)، دار الفكر، دمشق، سوريا، دط. دت.
منصور عبد الحكيم :ملوك الدنيا الأربعة ،سليمان عليه السلام النبي الملك ،دار الكتاب العربي ،دمشق ،سوريا،2017